



استراتيجيات الاندماج الاجتماعي للمهاجرين

من إفريقيا جنوب الصحراء بالمغرب:

— حالة الباعة المتجولين بمنطقة إنزكان مثالا —

يوسف أمزضاض

ذ. طيب العيادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن طفيل القنيطرة

المغرب

المستخلص:

تستهدف هذه الدراسة التعرف على دور الأنشطة التجارية لمهاجري أفريقيا جنوب الصحراء كاستراتيجيات للاندماج السوسيو-اقتصادي بجهة سوس بالمغرب، حيث حاولنا في هذه الدراسة الوقوف على أشكال وآليات الاندماج المعتمدة كوسائل للتكيف والاندماج الاجتماعي والاقتصادي في المجال المبحوث.

لذا جاءت هذه الدراسة لتبحث في هذا الجانب من عوالم الهجرة خاصة في منطقة عرفت بتصدير المهاجرين بدل استقطابهم، ورصد آثار ذلك في كل مناحي ومجالات الحياة المجتمعية المحلية أو لدى فئة المهاجرين المعنيين بالبحث، ومدى اندماجهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية المحلية عبر الأنشطة التجارية غير النظامية التي يمارسونها لتحسين وضعيتهم وتلبية متطلبات معيشتهم، مع الوقوف على الإكراهات والتحديات التي يجدها كعوائق للاندماج...

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الأنشطة التجارية، الاندماج الاجتماعي والاقتصادي.

Abstract:

This study aims to identify the role of sub-Saharan African migrants' commercial activities as strategies for socio-economic integration in Souss region of Morocco. In this study, we attempted to identify the forms of integration mechanisms adopted as means of adaptation. In addition to social and economic integration of the study area. Therefore, this paper explores the aspect of migration, particularly in this region, which is known for exporting migrants rather than attracting them. Moreover, it examines the effects of this on all aspects and areas of local community life, as well as on the group of migrants concerned by the study. It also explores the extent of their integration into local economic and social life through the informal commercial activities they engage in to improve their situation, and meet their livelihood needs. It also studies the constraints and challenges they encounter as obstacles to integration.

Keywords : Migration, commercial activities, social and economic integration



تأطير عام:

تحول المغرب من دولة مصدرة للهجرة إلى دولة عبور مستقبلية ومحطة انتظار المهاجرين القادمين من أفريقيا جنوب الصحراء بالإضافة إلى كونها أضحت بالآونة الأخيرة ولأسباب متعددة مستقبلية للمهاجرين سواء الأوروبيين الذين يفضلون بأنفسهم كذلك الاستقرار خاصة فئة كبار السن أو المهاجرين القادمين من أفريقيا جنوب الصحراء. كل هذا دفع بالمغرب إلى وضع استراتيجية وطنية تخص الهجرة واللجوء حيث صارت الهجرة اليوم قضية سياسية رفيعة المستوى ترتبط بحقوق الإنسان والتنمية والجغرافيا السياسية على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية. وتتميز حسب التقرير الدولي عن الهجرة بميزتين أساسيتين¹: الأولى تتمثل في تسجيل أحداث عالمية كبرى في مجالي الهجرة والتشرد خلال السنتين الماضيتين 2018 و2019م، خلقت صدمات قوية ومعاناة كبيرة فضلا عن خسائر كثيرة في الأرواح وذلك جراء النزاعات الإقليمية في "البيبا، العراق واليمن" أو العنف الشديد "مسلمو الروهينكا" أو الاضطرابات الاقتصادية والمناخية "الولايات المتحدة والهند". أما الميزة الثانية فهي مرتبطة باتساع الهجرة الدولية، حيث بلغ عدد المهاجرين 270 مليون سنة 2019م، والعدد مرشح أن يتضاعف في السنوات القادمة رغم صعوبة التنبؤ بدقة نطاق الهجرة الدولية وسرعتها لارتباطها الوثيق بالتحولات العالمية.

إن ما يشهده العالم من أحداث وتحولات تؤثر حركية تنقل البشر من وإلى المغرب، يبدو ذلك جليا من خلال ما نعاينه اليوم من تواجد اثنيات وجنسيات أخرى في الفضاءات العامة، فحسب المرء يلاحظ في المدن المغربية مهاجرين من إفريقيا جنوب الصحراء ولاجئين من سوريا بأعداد كثيرة ولا شك أن هؤلاء الوافدين الجدد سيؤثرون لا محالة على النسيج الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بالمغرب.

وفي سياق ما تعرفه الهجرة من تعقيد وزيادة سنحاول في هذه الدراسة الوقوف وتسليط الضوء على دور الأنشطة التجارية عند مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء كعامل للاستقرار والاندماج في مدينة إنزكان التي تعرف نوع من الأعمال الغير النظامية لدى المهاجرين الأفارقة الغير الشرعيين داخل سوق الشغل المغربي.

بالإضافة إلى إبراز الطرق والأساليب التي يتم من خلالها الحصول على هذه السلع ومدى حجم الإقبال عليها من طرف الساكنة المحلية في المجال المدروس. لأن الدولة تحاول وتسهر من خلال المجهودات التي تقدمها في تحقيق نوع من الإدماج للمهاجرين الأفارقة جنوب الصحراء في المجال الاقتصادي على وجه الخصوص، لأنه يكتسي أهمية كبيرة في صلب الموضوع الذي يخص هجرة الأفارقة جنوب الصحراء الغير الشرعيين، باعتباره المغرب كان بلد عبور حتى تحول إلى بلد استقرار بفضل تشديد المراقبة على الحدود الأوروبية.

I) الإطار الميثودولوجي للبحث:

لقد تم إعداد وبناء هذا البحث انسجاما مع المتن المتضمن في العناصر المنهجية التالية العرض:

1- الإشكالية:

عرف المغرب خلال السنوات الأخيرة توافد العديد من المهاجرين الأفارقة جنوب الصحراء في إطار هجرات بشرية جماعية وفردية إلى مختلف المدن المغربية. ولكن واقع العبور تحول إلى استقرار بفعل عوامل المراقبة. وتعتبر مدينة إنزكان، على غرار باقي المدن المغربية، إحدى المدن التي احتضنت الكثير من المهاجرين الأفارقة من دول غرب إفريقيا. لكن مسألة الاندماج أثارت الكثير من النقاش المعرفي في مختلف وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وفي داخل الجامعات المغربية ومراكز البحث العلمي. لهذا، فإن دراسة موضوع الهجرة ومسألة الاندماج تعد من القضايا التاريخية والاجتماعية الراهنة في المجتمع المغربي، وقد تركت هذه الهجرة مجموعة من الآثار خصوصا على المستوى الاقتصادي؛ إذ ساهمت في ولوج الأفارقة لسوق الشغل بالمغرب عبر الأعمال الغير النظامية في الأسواق الكبرى وفي الأحياء وعلى الأرصفة كذلك، ناهيك عما شكلته من اختلالات في ظل غياب سياسات واستراتيجيات متعددة لتسهيل اندماج المهاجرين الأفارقة الغير الشرعيين داخل سوق الشغل المغربي.



ومن هذا المنطلق تأتي إشكالتنا المركزية التالية: إلى أي حد تساهم الأنشطة التجارية للمهاجرين غير النظاميين من دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى في تحقيق الاندماج السوسيو-اقتصادي بالمجتمع المحلي لإنزكان؟

2- فرضيات البحث:

❖ وللإجابة عن التساؤل الإشكالي الذي يطر إشكالية البحث، تنطلق الدراسة من افتراض عام ومركزي يوجه بحثنا مفاده أن نوعية الأنشطة التجارية للمهاجرين غير النظاميين القادمين من أفريقيا جنوب الصحراء قد ساهمت إلى حد ما في توفير ممرات سوسيو-اقتصادية لتسهيل التكيف والاندماج مع المجتمع المحلي بإنزكان، بحيث تساعد الأنشطة التجارية لهذه الفئة تسهيل الاندماج داخل المجتمع المغربي كمجتمع عبور ومستقبل.

3- المقاربة البحثية:

انطلاقاً من مبدأ المنهجية للتحقيق الرهان المعرفي والموضوعة العلمية لموضوع الأنشطة التجارية غير النظامية لدى مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء في تحقيق الاندماج السوسيو-اقتصادي بمدينة إنزكان؛ سنعتمد على المقاربة الكيفية لجمع وتحليل المعطيات؛ ولا يعني إطلاقاً رفض للمقاربة الكمية أو تقييمها معيارياً غير منطوق لها بل تم هذا الاختيار على أساس خصوصية الموضوع، هكذا تم اللجوء إلى المقابلة نصف الموجهة والدراسات في جمع المعطيات وإلى التحليل الموضوعاتي الكيفي حيث اعتمدنا 15 مقابلة مع مهاجري أفريقيا جنوب الصحراء.

فأمام صعوبة وتعقيد القيام بمسح شامل لمجتمع البحث وكذا لتيسير عمل الباحث بشكل أنسب في بحثه الميداني يستجد لعمليات طرق وتقنيات عدة تكفل له استقصاء معارف ومعطيات أمثل لبناء موضوعه، وإن تقنية العينة من بين النماذج المثالية والمبسطة لذلك، فالعينة نموذج مصغر للمجتمع الأصلي التي تعكس خصائصه الخاصة، ويمكن اعتبارها كجزء من المجتمع الشامل تتضمن خصائصه ومميزاته التي يرغب الباحث في دراسته والتعرف عليها².

لذا فما سنؤول إليه تطابق المنهج مع مركزية العينة والموضوع باعتماد العينة العمدية (القصدية) كشكل أساسي لاستقصاء المعارف والتي تعرف على أنها تلك العينة التي يتم فيها "اختيار أفراد ومناطق بشكل تتدخل فيه رغبة الباحث وإرادته، وذلك على اعتماد معطيات ومؤشرات تبرر ذلك"³، بحيث أخذنا بعين الاعتبار عدة مؤشرات من أجل استخدام هذا الصنف أهمها الدراسة المسبقة لميدان التي تتوافد فيه فئة من المهاجرين الغير الشرعيين ينحدرون من أفريقيا جنوب الصحراء، وقد تكونت العينة من جماعة من المهاجرين يتخذون من سوق إنزكان مكاناً لممارسة تجارتهم الغير النظامية.

أكد على الباحث السوسولوجي عندما يرصد ظاهرة ما، يبحث عن عينة ممثلة بشكل صادق عن المجتمع الكلي الذي يود دراسته، وبالتالي فالعينة التي تم اختيارها بلا شك هي تعبر عن المجتمع الممكن الذي يستطيع أن يقدم لنا إجابات حقيقية يمكن ترجمتها إلى نتائج يسهل تعميمها في المستقبل على كافة الوحدات، أو الحالات الأخرى المشابهة، والعينة المختارة هنا المكونة من خمسة عشر 15 مستجوباً تضم الباعة المتجولين من المهاجرين أفريقيا جنوب الصحراء بمنطقة إنزكان والذين يمتنون التجارة على الرصيف، عينة توصلنا بها في مجال الدراسة التي تنقسم إلى فئات من المهاجرين والمهاجرات.

4- مجتمع الدراسة وعينته:

هو مجموعة من الأفراد والوحدات القياسية التي تعنى بالدراسة. وهي تمثل العنصر المتفاعل مع معطيات موضوع البحث وإشكالياته الأساسية. وفي هذا الصدد فإن مجتمع بحثنا مكون من شق أساسي وهو الأنشطة التجارية للمهاجرين الأفارقة جنوب الصحراء وقضايا الاندماج السوسيو-



اقتصادي بالمغرب حالة إنزكان مثلاً. إن أهمية هذه الخطوة هو التعرف على مجال البحث لما يحمله من حقائق اجتماعية مع المشاركين في المجال المدروس والإحاطة بأهم المشاكل التي يواجهها المشاركون في البحث.

توقف اختيارنا على عينة مهاجري أفريقيا جنوب الصحراء لأسباب وجيهة، تتمثل بالأساس في إمادة اللثام عن الكثير من العموميات التي يتم تداولها بخصوص المهاجرين الأفارقة واندماجهم في المجتمع المغربي خصوصاً المهاجرين غير الشرعيين. كما يبينه الجدول التالي:

الجدول رقم 1: عينة المشاركين في البحث:

رقم المشارك في البحث	الجنس	العمر	الحالة العائلية	الجنسية	نوع العمل الممارس	السكن الحالي
01	أنثى	28 سنة	عازبة	السنغال	الحلاقة، مواد التجميل	إنزكان
02	أنثى	27 سنة	عازبة	السنغال	بائعة متجولة	تراست
03	ذكر	30 سنة	عازب	السنغال	بائع الأكسسوارات النسائية والحلي	إنزكان
04	ذكر	31 سنة	متزوج	السنغال	بائع الأكسسوارات النسائية	إنزكان
05	أنثى	39 سنة	متزوجة	الكويت ديفوار	بيع مواد التجميل	الجرف
06	ذكر	25 سنة	عازب	السنغال	بيع الهواتف الذكية	أيت ملول
07	أنثى	25 سنة	عازبة	السنغال	الحلاقة، مواد التجميل	الجرف
08	ذكر	28 سنة	متزوج	السنغال	بيع الهواتف الذكية	تراست
09	ذكر	31 سنة	عازب	السنغال	بيع الهواتف الذكية	الجرف
10	ذكر	50 سنة	متزوج	السنغال	الحلاقة، مواد التجميل	أيت ملول
11	أنثى	26 سنة	متزوجة	السنغال	الحلاقة، مواد التجميل	تراست
12	أنثى	30 سنة	متزوجة	السنغال	الحلاقة، مواد التجميل	إنزكان
13	أنثى	50 سنة	متزوجة	موريتانيا	بائعة متجولة	إنزكان
14	ذكر	25 سنة	عازب	السنغال	بائع الأكسسوارات النسائية والحلي	إنزكان

15	ذكر	31 سنة	متزوج	السنغال	بائع الأكسسوارات النسائية	إنزكان
----	-----	--------	-------	---------	------------------------------	--------

المصدر: معطيات البحث الميداني إنزكان 2022.

1- مجال الدراسة:

مدينة إنزكان هي إحدى العمالات المغربية، وتنتمي لجهة سوس ماسة، وتقع وسط غربي البلاد في الجنوب الغربي للأطلس الكبير قرب مدينة أكادير يحدها شمالا عمالة أكادير إداوتنان وجنوبا إقليم اشتوكة أيت باها وشرقا إقليم تارودانت وغربا المحيط الأطلسي. ويضم الإقليم ست (06) جماعات أربع (04) منها حضرية وهي: الدشيرة الجهادية، أيت ملول، إنزكان، القليعة. وجماعتان إثنان (02) قرويتان: التمسية، أولاد داحو.

وباعتبار إنزكان مجالا تتوافد فيه أعداد كبيرة من المهاجرين من دول جنوب الصحراء، هذا المجال يعد مجالا تجاريا بامتياز، ولذلك تعتبر الوجهة المفضلة لدى المهاجرين الأفارقة، فهي المركز الرئيسي للتزود بالمواد الغذائية، وهي أهم الأسواق بالمملكة بتوفرها على أسواق مهمة كسوق الجملة وسوق الخضار والفواكه وسوق الثلاثاء.

خريطة رقم 1: جهة سوس ماسة، عمالة إنزكان مجال الدراسة.



المصدر: عمالة إنزكان، 2022.

يروم البحث الميداني الذي أنجزناه، الانصات المتأني لبنض تجارب مهاجري أفريقيا جنوب الصحراء عبر محطات عديدة مع التركيز على مسألة الاندماج وعقباتها في المجتمع المحلي بمنطقة إنزكان خلال ممارسة الأنشطة التجارية غير النظامية للمهاجرين غير النظاميين، ومعرفة مدى أثرها على الاندماج قبلها وبعد تحقيقه بالمجال المدروس.

II) الإطار المفاهيمي والنظري للبحث:

1- تحديد المفاهيم الأساسية للبحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة على مفاهيم أساسية وهي: الهجرة، الاندماج الاجتماعي، وكل مفهوم من هذه المفاهيم سيتم تعريفه وتحديدده وفق الإطار العام للدراسة.

أ) الهجرة:



فالهجرة وفق المعاجم العربية هي حراك من موطن إلى آخر، وفي مجال علم الاجتماع يدل هذا المفهوم على كل تحرك للفاعلين الاجتماعيين الذي يتم في المجال مهما كانت مسافة ومدة ذلك التحرك⁴.

نموذج تعريفي لعبد المالك الصياد حول مفهوم الهجرة: يتحدث عن الهجرة من خلال الإشارة لمصطلحين هما *émigration* و *Immigration* بحيث المصطلح الأول "*émigration*" يمكن ترجمته إلى الهجرة وهي الانتقال من البلد الأصلي نحو بلد آخر أما المصطلح الثاني "*Immigration*" يشير إلى الغربة يعني التواجد والعيش في البلد المستقبل.

إذن فالهجرة حسبه تكون دائما من البلد الأصلي نحو بلد المستقبل وتكون غربة في بلد مستقبل في كون المنتقل مهاجرا من بلده الأصلي ليصبح مغتربا في بلد مستقبل.

واصطلاحا، قدم العديد من الباحثين تعريفات متنوعة وعديدة للهجرة، فالجغرافيون وعلماء الاجتماع يعتبرونها ظاهرة جغرافية واجتماعية، أي انتقال الأفراد والجماعات والزمير الاجتماعية من موقع إلى آخر. والهجرة تنقسم عموما إلى هجرة خارجية وأخرى داخلية. بالنسبة للهجرة الخارجية فيتم فيها الانتقال من دولة إلى دولة أخرى قد تكون داخل نفس القارة الجغرافية أو خارجها. هذه "الهجرة الخارجية" تنقسم بدورها إلى هجرة شرعية وغير شرعية، بالنسبة للهجرة الأولى تكون وفق القوانين المعمول بها في البلدين المهاجر منه والمهاجر إليه أما الثانية فلا تحترم هذه القوانين وتتم بطريقة سرية.

أما الهجرة الداخلية فهي انتقال الأشخاص للإقامة من مكان إلى آخر داخل بلدهم، وفي البلدان النامية تكون الهجرة الداخلية على شكل واحد هو الانتقال من الأرياف إلى المدن للبحث عن فرص عمل وعن حياة وخدمات أفضل، أما في الدول المتقدمة فيظهر نوع آخر من الهجرة وهو الهجرة المعاكسة أي الهجرة من المدن إلى الأرياف، وأكثر المهاجرين هنا هم كبار السن والمتقاعدون الذين يبحثون عن الاسترخاء والهدوء بعيد عن ضجيج المدن وصخبها. لا تقتصر الهجرة الريفية على الهجرة من الريف إلى المدن وهي الغالبة فقد تحدث هجرات من الريف إلى الريف أي من القرية الزراعية التي لا تتوفر على ظروف جيدة للزراعة أو عدم توفر المياه إلى القرية أخرى أراضيها صالحة للزراعة وقرية من المصادر المائية أي الانتقال إلى مجتمع محلي داخل حدود البلد⁵.

● الهجرة غير النظامية:

تعني انتقال الأفراد للعيش في بلاد ما دون الحصول على موافقتها ووفقاً لذلك يعدّ المواطن غير الشرعيّ هو المقيم بشكل غير قانوني، ومن الأسباب التي تدفع للهجرة غير الشرعية دخول الأفراد إلى دولة جديدة دون قدرتهم على الحصول على تأشيرة الدخول لسبب ما، أو دخولهم إلى الدول التي ليس لها بالطبع هذه الطريقة من طرق الهجرة غير الشرعية، ويصل الأشخاص عبر القوارب بأشهر عن طريق اتفاقيات الإعفاء التلقائي من تأشيرة الدخول، مما يضطرهم إلى الدخول لتلك الدولة عن طريق عبور الحدود بشكل غير قانوني.

أما على المستوى الإجرائي سنركز في بحثنا عن الهجرة الغير النظامية للمهاجرين الأفارقة المنحدرون من جنوب الصحراء والذين يمارسون الأنشطة التجارية الغير الرسمية لتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجمال المدروس.

ب) الاندماج:

غالبا ما يتم الخلط بين مفهومي الإدماج والاندماج فالأول يشير إلى إقحام شيء ما وإدراجه بشكل قسري وبإكراه دون أخذ موافقته بعين الاعتبار، أما الثاني فيمكن تعريفه كالتالي: يكتنف لفظ الاندماج الكثير من الغموض لأنه ينتمي في الوقت نفسه إلى اللغة السياسية واللغة السوسولوجية، إضافة إلى اقترانه بالممارسة السياسية والنقاشات المجتمعية الغربية التي سنت تدابير وأنشأت وزارات أو مصالح حكومية خاصة بالهجرة والاندماج الاجتماعي⁶.



كما يشير كذلك مفهوم الاندماج في معناه العام إلى فكرة الترابط أو التبعية البينية بين عناصر أو وحدات مجموع ما، ينظر إليها من منظور نسقي ويقوم هذا الترابط البيني على التلاؤم بين مكونات النسق مع بعضها البعض كما أكد تالكوت بارسونز في كتابه النسق الاجتماعي، وغالبا ما يطرح لفظ الاندماج كمقابل لعدم الاندماج والاحتلال والانحراف والانفصال والتشتت والتمرد والاستلاب والعنصرية وعدم الانتساب والإقصاء. يقوم هذا الأخير "الإقصاء" على الإهمال المنهجي أو الإجحاف أو التمييز ضد الأشخاص⁷.

وتعتبر نايلاكبير⁸ في كتابها «Social exclusion: concepts, findings and implications for the MDGs» "الإقصاء الاجتماعي: المفاهيم والنتائج والآثار على الأهداف الإنمائية للألفية" تعتبر أن مفهوم الإقصاء هو مصطلح حديث انبثق من أوروبا نتيجة ارتفاع البطالة وتفاوت الدخل مع نهاية القرن العشرين. وعرف الإقصاء الاجتماعي بالعملية التي يستبعد من خلالها الأفراد أو المجموعات تماما أو جزئيا عن المشاركة الكاملة في المجتمع الذي يعيشون فيه.

فالاندماج هو عملية مشاركة ديناميكية في المجتمع تسمح بإدماج الجميع اجتماعيا مع الحفاظ على التنوع والفردية، وبعبارة أخرى إنهاء محاولة لإنشاء مجتمع للجميع مع احترام للاختلافات وقد يشمل ذلك مبادرات حكومية وسياسات وبناء قدرات وأيضا النفاذ إلى البنية التحتية التي تسمح بالحوار والتبادل. ويتوافق مع الإدماج والتماسك الاجتماعي، الذي يعطي كل فرد من أفراد المجتمع نوع من الحس بالانتماء والتقدير والشرعية، ليس نتيجة للتجانس الديمغرافي بل احتراماً للتنوع⁹.

يأخذ الاندماج أشكالا مختلفة ويرتبط بنوعيات مختلفة، لهذا من الملائم التمييز في الوقت نفسه بين أنماطه ومستوياته وهكذا يميز landecker بين أربع أنماط أساسية للاندماج:

- الاندماج الثقافي *intégration culturelle* ويعني به درجة الانسجام بين قيم ثقافة ما.
- الاندماج المعياري *intégrations normative* ويعني درجة تطابق السلوكات مع المعايير الجماعية.
- الاندماج التواصل *intégrations communicative* يرتبط بكثافة تبادل المعاني بين الفاعلين.
- الاندماج الوظيفي *intégration fonctionnelle* يعني تبادل الخدمات.

وبخصوص مستويات الاندماج الاجتماعي فينبغي التمييز بين نوعين:

- ✓ الاندماج في جماعة ما.
- ✓ الاندماج في المجتمع الشامل وهذا النوع يعرفه الباحث Eliezer ben Rafael باعتباره نقيضا لغياب الانسجام والإقصاء والتجزئة والتشتت¹⁰.

أعطى علماء الاجتماع بمدرسة شيكاغو الاهتمام بشكل مستمر للعمل الأمبريقي الميداني، الشيء الذي يبين غياب تعريف واضح علمي لمفهوم "الاندماج" في أعمالهم، كما تعد مدرستهم حقيقية في الأدبيات السوسيولوجية المعاصرة حيث نقلت البحث في علم الاجتماع من الهوية إلى الاحتراف، خاصة في اشتغال روادها بمسألة الهجرة والاندماج من جهة، ثم العلاقة بين المجال الثقافي والمجال الحضري من جهة أخرى، عن طريق الوثائق الشخصية والرسمية، السيرة الذاتية، المراسلات والملاحظة الموضوعية. ومنها حدد روبرت بارك المراحل الأربعة التي يمر منها المهاجرين من أجل الاندماج: المرحلة الأولى وهي الجوار وهي علاقات أولية وأساسية. تتميز بغياب الوساطة الاجتماعية بين الأفراد الذين يرتبطون فيما بينهم بعلاقات اقتصادية فقط، المرحلة الثانية تتميز بتباعد المسافات الاجتماعية التي تفصل بين الحضريين وتقلص فرص الانتقال فيما بينهم وكذا التعامل بشكل سطحي، وفي المرحلة الثالثة "التشابه" تتجه المجموعات الاجتماعية نحو الاختلاط والتمازج وهي مرحلة التي



تلعب فيها المدرسة وتنظيمات المهاجرين وصحفتهم ولغتهم الدور الحاسم، ثم مرحلة الاندماج. وهذه المراحل ما يضعها في المجتمع المغربي موضع شك¹¹، بالرغم مما يقام ويقدم لهؤلاء المهاجرين، لأن الاندماج له جوانب متعددة.

فالاندماج الاجتماعي متعدد المعاني بامتياز، فهو يعني سوسيولوجيا عملية اجتماعية تأخذ صورتين في نفس الوقت، فهي هدف "سياسات الاندماج" من جهة، ورهان سياسي (أزمة الاندماج الاجتماعي) من جهة ثانية، وفي هذا الصدد يجد الباحث في علم الاجتماع¹²، عند اشتغاله بمسألة الاندماج بكل أبعاده أمام صعوبة تحديد المفهوم بحيث يكتنف لفظ integration الكثير من الغموض، لأنه ينتمي في الوقت نفسه إلى اللغة السياسية واللغة السوسيولوجية، إضافة إلى ارتباطه بالممارسة السياسية والنقاشات المجتمعية المثارة حول قضايا الهجرة "إدماج المهاجرين" والتعدد الثقافي "الهوية الثقافية"، خصوصا في بعض المجتمعات الغربية التي سنت تدابير وأنشأت وزارات أو مصالح حكومية خاصة بالهجرة والاندماج الاجتماعي.

ويقصد بمفهوم الاندماج الاجتماعي سوسيولوجيا¹³، العملية الاجتماعية التي تمكن الأفراد من الانصهار في مجتمعاتهم، أفقيا بتمثل قيمها، عاداتها، وأنماط عيشها، وعموديا باكتساب هوية سياسية تعزز انتسابهم لمؤسسة الدولة وتوطد ولاءهم لها¹⁴.

لقد خلف دوركايم إرثا معرفيا هاما بخصوص سوسيولوجيا الاندماج الاجتماعي، فمن خلال دراسته للانتحار برز مفهوم الاندماج كمفهوم مركزي، حيث ربط بين الانتحار كظاهرة اجتماعية مرضية بدرجة الاندماج الاجتماعي كبيرة كان معدل الانتحار أقل والعكس صحيح، وقد اعتمد العديد من الباحثين على نظرية دوركايم حول الاندماج الاجتماعي في تحديد مفهوم الاندماج، ومن بين هؤلاء نجد فليب بسنارد "Philippe Besnard" تقول على جماعة اجتماعية بأنها مندمجة إذا كان أعضاؤها¹⁵:

1. يمتلكون وعيا مشتركا، ويتقاسمون المشاعر والمعتقدات والممارسات نفسها.

2. يتفاعلون فيما بينهم.

3. يشعرون أن لهم هدفا مشتركا يسعون إليه.

ونفس الشيء نجده عند كوسون (2008) Cusson عند تحديد لمفهوم الاندماج الاجتماعي، إذ يعرفه بنوعية العلاقات التي تربط الأفراد داخل الجماعة بالإضافة إلى درجة التزامهم بقيمتها ومعاييرها.

أما الاندماج الاقتصادي يتمثل في تكوين أسواق اقتصادية مشتركة، ويتم ذلك بوسائل ومظاهر عديدة مثل توحيد التشريعات الضريبية والجمركية وغزالة كل العوائق التي تحول دون التدفق الحر للسلع والخدمات، وانسياب حركة العمل ورأس المال بين مختلف مناطق السوق¹⁶.

وعلى المستوى الإداري، فنقصد بالاندماج الاجتماعي تلك السيرة المتبادلة لمسار مهاجري جنوب الصحراء على مستوى سوسيو - ثقافتين؛ ومساواة مع مواطني بلد المغرب كبلد استقبال، على مستوى الحقوق والواجبات وفرص العمل، دون فقدان ثقافة بلدهم الأصلي مما يجعلهم يجدون قبولاً اجتماعياً في تحقيق الاندماج الاقتصادي عبر الأنشطة الغير النظامية.

2- الإطار النظري المرجعي للبحث:

تركز هذه الدراسة البحثية التي نحدد بصدها؛ تقاطع بين العديد من الحقول المعرفية، لذلك إرتأينا أن نؤطرها في حقل سوسيولوجيا الهجرة والحدود، بناء على هذا النحو سنحاول فب هذا الإطار أن نعطي لمحة تاريخية عن البدايات الأولى لتشكيل حقل سوسيولوجيا الهجرة مع مدرسة شيكاغو وما تركته من إرث في هذا التخصص، ومن خلال ذلك سيتم التركيز على المقاربة الإثنوغرافية للهجرة مع "وليام وإسحاق طوماس" وفلوريان زنانكي، والمقاربة الإيكولوجية للهجرة مع روبرت بارك.



2.1- مدرسة شيكاغو وسوسيولوجيا الهجرة.

تعتبر سوسيولوجيا الهجرة فرع من فروع علم الاجتماع المعاصر، والذي ظهر مع مدرسة شيكاغو خلال سبعينيات القرن الماضي بأوروبا. يهتم بدراسة تأثيرات وانعكاسات توافد المهاجرين على مجتمع الاستقبال والعبور، والمشاكل التي يخلفها عدم الاندماج، بناء على براديغمات وأنساق أيديولوجية للدول المستفيدة والمستهلكة للهجرات ولهذه المجموعة البشرية. لقد حقق هذا العلم تراكما بفعل القلق الذي يخلفه الوجود المزعج باعتبارهم غرباء في بلد ما، وقد ترجم هذا على شكل كتابات اشتهرت بأدبيات الهجرة خصوصا في المجال الإعلام والصحافة وأيضا في النصوص القانونية والروائية والسينمائية، وبرز صدى هذه الكتابات بشكل كبير في مجال العلوم الاجتماعية، (القانون، علم السياسة، التاريخ والجغرافيا، والديمقراطية، والاقتصاد، علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا). لقد حاولت هذه العلوم المختلفة تفسير ظاهرة الهجرة في جوانبها وتحقيق الكم المعرفي الذي يسمح بصياغة نموذج معرفي يفسرها.

يمكن القول إن سوسيولوجيا الهجرة هي اللبنة الشرعية لمدرسة شيكاغو، من خلال الأعمال التي أنتجت في الفترة التي امتدت ما بين الحربين، وهي أعمال إمبيريقية بالأساس، اتخذت من الولايات الأمريكية ميدانا لها. إن التيمة التي اشتغلت حولها مدرسة شيكاغو خلال هذه المرحلة تتركز حول مقارنة العلاقات المعقدة التي تربط بين الناس في عالم متحول تحت تأثير إفرزات التصنيع. وكما هو الشأن عند "دوركايم"، فإن الباحثين الأمريكيين يتناولون المدينة كمختبر اجتماعي، ما جعل أعمالهم عدة منهجية محضة وتأملات نظرية شاهدة على تأسيس إرث سوسيولوجي.

إن عالم الاجتماع يهدف إلى إبراز الدوافع غير الاقتصادية للهجرة وتوضيح الظاهرة في علاقتها بالسياق الاجتماعي الذي توجد فيه. لقد بدأ السوسيولوجيون يهتمون بظاهرة هجرة السكان خصوصا الهجرة الداخلية، مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، نظرا لاتساع هذه الظاهرة وما ينتج عنها من مشاكل اجتماعية من قبيل أزمات السكن، الانحراف، الاندماج وكانت هذه المشاكل مرتبطة بمتطلبات الظاهرة الصناعية وانتشارها، وما يتطلبه المجتمع الصناعي الناشئ من يد عاملة عجزت المراكز الحضرية القديم على توفيرها. ومن ثم كانت الهجرات الداخلية في الدول الأوروبية مرتبطة آنذاك بالعمل الصناعي، لتصبح فيما بعد عاملا ديناميكيا في تكوين سكان المدن¹⁷، وفي هذه الظروف الاجتماعية والاقتصادية استقطبت ظاهرة الهجرة الداخلية اهتمام العديد من الباحثين في مختلف التخصصات.

ويعتقد "روني ديشاك" أن الهجرات يمكن أن تشكل الموضوع المحدد لعلم الاجتماع، ويقول في هذا الصدد¹⁸: كما أن الظواهر النقدية تشكل بالنسبة للاقتصاد القاسم المشترك بالنسبة لعلاقة السوسيولوجيا ككل بسوسيولوجيا الهجرات". وفي هذا الإطار أكد العديد من الباحثين أن التدشين السوسيولوجي للهجرة يعود الفضل فيه إلى علماء الاجتماع الإنجليز، وذلك عائد إلى كون إنجلترا كانت مهد الثورة الصناعية. وعرفت بالتالي هجرة قروية كثيفة من البوادي تجاه المدن والتي نتج عنها تضخم حضري غير مسبوق في تاريخها، لذلك ظهر الاهتمام الفكري الأول بالهجرات في إنجلترا على يد رفنستين¹⁹ منذ سنة 1885، والذي يعتبر أول من حاول القيام بتحليل علمي للمعطيات الإحصائية المتعلقة بالهجرات، انطلاقا من حالة إنجلترا وانتهى في أبحاثه إلى صياغة مجموعة من النماذج اعتبرها آنذاك قوانين مفسرة لظاهرة الهجرة. وأهم ما جاء به هو مجموعة من المفاهيم التي لا زالت تؤثر اليوم في السوسيولوجيا وخصوصا مفهوم الجذب "والطرد".

إن أهمية مدرسة شيكاغو في اعتقاد المالكي²⁰، لا تعود فقط إلى مساهمتها الوازنة في إرساء سوسيولوجيا التحضر والهجرة، بفضل ما أنتجته من تراث نظري ومن تقنيات وأدوات منهجية، بل تعود كذلك إلى مساهمته ضمينا في التأسيس لعدد من فروع السوسيولوجيا الحديثة (العائلة والجريمة والمشاكل الاجتماعية والتغير الاجتماعي، السياسة... إلخ).

وتظل الإشكالياتان المركزيتان اللتان شغلنا رواد هذه المدرسة، كما يوضح المالكي، هما الهجرة والاندماج من جهة، ثم العلاقة بين الثقافة والمجال الحضري من جهة أخرى. وهما الإشكاليات اللتان حاول الباحثان تصارهما في هذه الدراسة في مفهوم "التحضر"، على اعتبار أن هذا المفهوم يتضمن بعدين أساسيين: بعد ديموغرافي/مجال (انتقال الأفراد من البادية إلى المدينة)، ثم بعد سوسيولوجي/ثقافي (مسألة الاندماج، واكتساب



الثقافة الحضرية). وذلك ما لا يمكن اختباره، في نظر المالكي²¹، إلا بالانتقال من مجال البحث السوسولوجي النظري إلى مجال البحث الميداني التجريبي لتتبع واختبار إشكالية "التحضر والهجرة" وسيرورة "التنشئة الحضرية" في زمان ومكان مغايرين.

2.2- المقاربة الإثنوغرافية للهجرة: "إسحاق طوماس" وفلوريان زنيكي

إن أهم ما يميز مدرسة شيكاغو كاتجاه نظري وإمبيريقي أنها تناولت إشكالية الوفود في ثلاثينيات القرن الماضي بتقديم طرح سوسولوجي ومقاربة إثنوغرافية للتحضر والهجرة، هي "الفلاح البولوني في أوروبا وأمريكا"²² ل طوماس "و"زنانكي" ابتداء من عام 1918. وهي الدراسة التي كانت رائدة في استخدام بعض المناهج والأدوات الجديدة آنذاك، كما كانت رائدة في استخدام المعامل الإنساني الذي يأخذ في الاعتبار دائما معاني المشاركين في التفاعل الاجتماعي، وكذلك كانت هذه الدراسة البدايات الأولى للوصف المنظم للمجتمع. ولقد تأثر هؤلاء الرواد في دراستهم للهجرات بالإيكولوجيا وذلك يتضح جليا من خلال تركيزهم على مفاهيم مثل: الاستخلاف، التنافس، الصراع، التوازن، التكيف، والعلاقة بين الموارد والسكان، وقوى الجذب والطردي في المجال...، ومع رواد هذه المدرسة ومن خلال أبحاثهم ودراساتهم ستظهر أسس وملامح مواضيع سوسولوجيا الهجرة²³.

2.3- المقاربة الإيكولوجية للهجرة مع "روبرت بارك".

يسعى "روبرت بارك" إلى وضع قطيعة مع التحقيقات الاجتماعية التي كانت سائدة وذلك عبر تبني نموذج معرفي جديد للمساعدة على معرفة الواقع الحضري معرفة علمية من أجل فهم الواقع والقدرة على السيطرة عليه؛ وهذا النموذج المعرفي الجديد "الإيكولوجيا" تعتبر العلم الأقرب إلى الإنسان ووضع ذلك في مقالة له بعنوان "المجموعة الحضرية: نموذج مجال ونظام روحي" حيث أشار إلى أن مختلف النباتات تسعى إلى التشكل في جماعات أو مجموعات وأنها تنمو وتتطور تماما كما تفعل المؤسسات الاجتماعية في شروط الحياة الحضرية. حسب "بارك" ما يهم هو المجموعة أكثر من الإنسان الفرد على عكس ماكس فيبر، جورج سيمل.

استلهاما للنموذج الإيكولوجي، سيعتبر "بارك" الهجرات الإنسانية هجرات طبيعية كما هي هجرات النباتات والحيوانات؛ لهذا يسعى للبحث عن مفاهيم للتأكيد على أن ظاهرة الهجرات الإنسانية قابلة للدراسة العلمية فهذا الصدد أسس "بارك" مفهوم "الخلافة والتوازن". واعطى مثال الهجرات الاستيطانية في عهد الاستعمار نهاية القرن 19 كنموذج استخلاف جغرافي، ديموغرافي ثقافية كما أشار إلى التوازن كمطلب أساسي للاستقرار لأن الاختلالات تخلق الهجرة. مثالا "المهاجرين الأوائل لأمريكا جاؤوا لاستخلاف الهنود الحمر، وبهذا فإن الهجرة حسب "بارك" تعمل على إعادة التوازن وإذا تم هناك تغير على مستوى شروط الحياة الإيكولوجية فإن ذلك يؤدي إلى اختلال في التوازن الطبيعي وبهذا فليس على الأفراد سوى الهجرة أو الفناء.

إن هجرة الفلاح للمدينة عملية دائمة ومستمرة بحيث تتحول إلى مشكلة اجتماعية يتم حلها عبر الانصهار أو الاندماج أو تمثل المهاجر للعادات والتقاليد الحضرية وهذا يستدعي الانخراط في سيرورة يشير إليها بتعبير؛ دورة العلاقات الاثنية.

وبهذا فإن "بارك" قد انتهى إلى محورة كل إشكاليته وبنائه النظري حول أربعة مفاهيم أساسية هي التنافس، الصراع، التأقلم الاستيعاب.

يشير بالمرحلة الأولى التفاعل دون اتصال اجتماعي بمعنى الصراع من أجل الحياة إما المرحلة الثانية الصراع ينجم بشكل طبيعي عن التنافس بين جماعات مختلفة؛ بمعنى بلوغ التنافس أعلي درجاته. والمرحلة التأقلم تعتبر ظاهره اجتماعية تم الثقافة عامة والعادات الاجتماعية؛²⁴ ومختلف التقنيات والمهارات السائد في المجتمع وتم قبول الاختلاف بين الجماعات وذلك عبر قواعد الضبط الاجتماعي.



والمرحلة الأخيرة الاستيعاب على أنه سيرورة من خلالها يشارك الأفراد في سير المجتمع برغم أن المجتمع الصناعية تأجيج الاختلافات العرقية من خلال التعليم وتقسيم العمل. فإن انصهار مختلف الجماعات الأثنية والثقافية يتحقق من خلال تبنيها لغة وتقاليد واحد. وبهذا يتم استيعاب المهاجرين عبر وسائل من بينها التربية، المدرسة لتسهيل اكتساب روح مواطنة جديدة²⁵.

ولعل أهم ما يميز سوسيولوجيا الهجرات في مشروع بارك، وفي مدرسة شيكاغو عموماً، هو أنها تنظر للهجرة والمهاجر من منظورين اثنين: منظور يعتبر المهاجر الفرد أكثر نشاطاً وإنتاجية وأداة لنقل الثقافة وتقديم الحضارات. ومنظور مضاد يعتبر المهاجر نفسه أداة مساعدة على ظهور وانتشار سوء التنظيم الاجتماعي، كما يتمظهر في الفقر والجرائم والفساد الأخلاقي.

(III) استراتيجيات الاندماج السوسيواقتصادي لدى المهاجر غير النظامي:

1- معطيات البحث الميداني: آليات و وسائط الاندماج

إن النظرة على خريطة مدينة إنزكان وضواحيها، كفيلا في جعل الباحث السوسيولوجي أو على الأقل الذي يحمل قلقاً معرفياً، ويتصور بعض الحركية المجالية والمهنية والاجتماعية ومختلف السلوكيات والتفاعلات والديناميات التي يظهريها المهاجرين من دول جنوب الصحراء، فمن المعلوم أن هذه المدينة ذات كثافة سكانية حضرية، وأن مناطقها لها تجاذب قوي ناجم عن سياقها التاريخي وموقعها، وخصوصياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. إن العابر للحدود هو الفرد الذي يترك بلده بشكل إضرائي أو اختياري نحو بلد من اختياره أو هو مصر لجعله كوجهة مؤقتة أو قد تنسم بالديمومة، مع التنقل من دول مختلفة عبر الحدود في ظروف بعيدة كل البعد عن الهجرة الطبيعية حتى لو اختلطت تلك الظروف ببعضها وحلت إحداها محل الأخرى، فهي لا يمكن أن تنفي فكرة كون المغرب عامة ومدينة إنزكان على وجه الخصوص تحولاً إلى بلد استقرار وليس محطة استراحة وعبور نحو أوروبا فقط.

أ- دور الأنشطة التجارية غير النظامية في الاندماج السوسيو اقتصادي لمهاجري إفريقيا جنوب الصحراء.

إن التطورات الحاصلة في مجال الشغل والتشغيل تدفع فئة مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء نحو القطاعات الهامشية والغير المهيكلة التي تتمركز بصفة "الباعة الجائلين" بعد أن وجدوا أنفسهم أمام مجال يختلف عن مجال الذي ينتمون إليه، لأن من أبرز خاصيات القطاع الغير المهيكل حسب مختلف المتخصصين، وكونه أحد مظاهر سوق الشغل السائد ضمن عدد من الدول الفقيرة ويتميز باستيعابه لعدد من العاطلين والباحثين في إطار ما يمكن أن نطلق عليه "التشغيل الذاتي". إنه عبارة عن وحدات إنتاجية صغيرة تتميز من حيث طبيعتها الاقتصادية سواء على مستوى الحجم أو الإنتاج أو التسيير بتواضع رأسمالها من جهة، وعشوائية وموسمية تنظمها من جهة ثانية. وهذا ما يجعل من "عدم الاستقرار" أحد أبرز خاصيات القطاع الغير المهيكل، سواء على مستوى الزمان والمكان أو الأجر²⁶. وتبعاً لذلك فإنه يصنف خارج نظام الشغل المعترف به، مما يطرح صعوبة إدراجه ضمن أجهزة الإحصاء الرسمية لأنظمة الشغل، كما يجعل كل من ينتمي إلى هذا القطاع على هامش أنظمة الحماية الاجتماعية العمومية²⁷.

يعتبر الحديث عن الباعة المتجولين الأفارقة بالمجال المدروس من أحد أبرز مظاهر النشاط التجاري ضمن القطاع الغير المهيكل، والذي يمارسه مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء سواء النساء أو الرجال، ويطلق عليهم بالعامة المغربية اسم "الفراشة"²⁸.

وأكدت لنا الدراسة الميدانية للبحث عن اختلاف الباعة المتجولين باختلاف مبيعاتهم، وأصحابها، وكذلك مكانها، حيث نجد المهاجرين الأفارقة ينتشرون في مناطق متفرقة بإنزكان بعضهم إما جانب سوق الثلاثاء وبعضهم على جنبات الطريق أمام الطاكسيات وبعضهم أمام أسواق الخضار، حيث يتم عرض أشكال متعددة من المبيعات منها المستعملة أو جديدة محلية أو حديثة.



إن الجامع بين مختلف هذه المبيعات التي يعرضونها المهاجرين الأفارقة هو انخفاض سعرها، بحيث لا تتطلب لا من مشتريها ولا من بائعها قدرا عاليا من المال، كما يبين كلام المشارك «مهاجر سنغالي، متزوج، 33 عام، طالب جامعي، إنزكان، بائع الهواتف يقول " إن أغلبية الناس الذين يأتون إلى إنزكان يبحثون عن أشياء رخيصة بسبب وضعيتهم الاجتماعية التي يوجد فيها، لأن معظم هؤلاء السكان غير قادرين على شراء هواتف جديدة، لذلك سيضطرون إلى إقامة علاقة ثقة. » مما يفسر بشكل أو بآخر سبب انتشار تجارة الرصيف عند الأفارقة بالجال المدروس. ونجد في نفس السياق مهاجر سنغالي متزوج 32 بائع الهواتف، حيث يقول إن الأنشطة التي نزولها تلعب دور في خلق نوع من الدينامية الاقتصادية بإنزكان لأن طبيعة النشاط الذي يمارسه يلعب دورا في استقطاب الساكنة خاصة اقتناء الهواتف التي يبيعها لكونها تناسب تلك الفئة الهشة التي لا تملك قدرا من المال قصد شراء هواتف الجديد بثمن لا يناسب الحالة الاجتماعية للأفراد الذي يمرون أمامهم، ويتبن لنا هنا أن وظيفة الباعة المتجولين الأفارقة لهم دور كبير بمنطقة إنزكان من خلال كسب ثقة الساكنة في اقتناء المقتنيات التي يبيعونها والتي تكون في صالحهم باعتبارها منتج مغربي.

وبخصوص مكونات النشاط التجاري عند مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء، فيمكننا القول بأنه إذا كانت طبيعة باعة المتجولين تتميز في عموميتها بعرض لمنتجات بسيطة ورخيصة فإن الباعة الأفارقة على الرصيف أو جنب المحلات التجارية غالبا ما تمثل النموذج الأكثر بساطة من حيث طبيعة المعروضات وأثاثها إذ غالبا ما تنحصر مكونات الباعة المتجولين الأفارقة فيما يلي:

- بعض المنتجات التجميلية التي تتميز بها منطقتهم كالحلاقة والتجميل، الرسطا، بيع منتجات التجميل الاستعمالات العلاجية المتداولة في بعض الحالات كالألم وغيرها تصبغ الأظافر وكذلك اللباس الإفريقي في الحفاظ على ثقافتهم. وبيع الإكسسوار والهواتف والساعات، أورد التسييح، وأن المصدر الأساسي للربح عند مهاجرين الأفارقة مثلا فئة الذكور الذين يبيعون الهواتف على الأرصفة أو أمام سوق الثلاثاء نجد أنهم يحققون بعض الأرباح في بيع الهواتف الرخيصة كما جاء على لسان:

✓ مهاجر سنغالي 31 سنة بائع الهواتف الذكية "نحن نربح بعض الأموال في بيع هذه الهواتف الرخيصة وهي منتج مغربي. وهذا ما يسهل علينا عملية البيع مع الزبائن الذين يأتون إلى مدينة إنزكان". أما فيما يخص المهاجرات الذين يقومون بالتجميل والحلاقة على مستوى الرصيف بالجال المدروس نجد أنهم يحققون بعض الأرباح من خلال عملية الرسطا وتصبغ الأظافر بثمن مناسب للزبائن وهذا ما يسهل عملية تحقيق نوع من الدينامية الاقتصادية لدى المهاجرات.

✓ كما تؤكد إحدى المهاجرات من خلال المقابلة الميدانية التي أجريتها بمنطقة إنزكان مهاجرة سنغالية 26 سنة غير متزوجة حيث تقول "إن الرسطا الآن تلعب دورا هاما كبيرا في زيادة الأرباح من خلال توافد بعض الساكنة المستقرة بالجال المدروس إلى هذا النوع في طريقة تسريح الشعر. «وفي نفس السياق تؤكد لنا مونيكا مهاجرة موريتانية من أصول سنغالية مستقرة في إنزكان منذ عام 2002 يتم تحقيق أرباح مرضية لهن وساهمت المهاجرات في نقل تلك الصورة إلى البلد الأصل كما يبين مقتطف ملاحظ في الميدان حيث "تعرضت بعض مهاجرات سنغاليات في مدخل السوق النموذجي لمدينة إنزكان على طاولات مجوهرات من أشكال مختلفة بأثمان تتراوح ما بين عشرة دراهم وستين درهما. وتتضمن معروضات كل امرأة السلع نفسها، لا يشكل عرض المجوهرات تجارة خاصة بالنساء، بل حتى الرجال يعرضون سلعا كهذه وإن المهاجرين والمهاجرات من دول الساحل وجنوب الصحراء أغلبهن ينحدرن من السينغال. » هنا يتبين أن تحقيق نوع من الربح في الأنشطة التجارية الغير المهيكلة في المجال المدرس يحتاج إلى تحقيق نوع من التوازن بين الساكنة من خلال كسب ثقة الزبائن، لأن كل وظيفة إلا ولها دور فعال عند المهاجرين الأفارقة في تقسيم المهام بينهم، كما نرى عند المهاجرات في المجال كل واحدة تقوم بوظيفتها من أجل خلق نوع من التضامن فيما بينهم قصد الاستمرار في العمل داخل المجال المدروس.

انطلاقا من آراء المشاركين يتضح أن طبيعة هذه المعروضات يمكن أن تمنحنا فكرة عن طبيعة العائدات التي يمكن أن تجنيها هذه العينة من الباعة المتجولين الأفارقة بإنزكان حيث صرح العديد منهم بأن عائدات مبيعاتهم غالبا ما تكون بسيطة جدا، لا تكاد أن تكون من الحاجيات



الضرورة إن لم نقل الحيوية، والتي تتخلص في تغطية المصاريف الحياة اليومية في أحسن الأحوال. وقد برزت لنا طبيعة الأنشطة الغير النظامية لدى مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء بمنطقة إنزكان بشتى أنواعها التي يمارسونها لكسب قدر من المال في حياتهم اليومية ومساعدة أنفسهم في تقديم نوع من الحاجيات الضرورية كالسكن والأكل والقيام بتحويلات مالية للأقاربهم الذين يعيشون هشاشة اجتماعية. وبالتالي فمبدأ تقسيم الأدوار فيما بينهم عندما نجد طبيعة النشاط التجاري غير المهيكل تختلف بين المهاجرين الأفارقة في إنزكان وبين الآخرين الذي يبيعون أنواع السلع كالهواتف أو المجوهرات إلى غير ذلك.

وهذا يؤكد لنا على الحس التضامني بين المهاجرين الأفارقة في التعاون بين أنفسهم حيث تجعل كل واحد منهم يعتمد على الآخر وهكذا سيصبحون تدريجيا بشكل تلقائي مستعدين لقبول ذهنية الواجبات التعاونية للجماعة وهم التضحية بالنسبة للكل، وهذا ما يؤدي إلى خلق قيم مشتركة وموحدة بين الأفراد وهذا ما يسميه إميل دوركايم بالضمير الجمعي²⁹. وإن الباعة المتجولين كنمط تجاري أو اقتصادي غير مهيكول هيكلته الخاصة ونظامه الداخلي ضمن الفضاء العمومي بلغة يورغان هابرماس، والذي يتعين على كل من ينتمي إليه الالتزام بقواعده وشروطه وهذه القواعد غالبا ما تستمد مشروعيتها من الأعراف التي يتم التعاقد عليها بكيفية رمزية من لدن المنتمين لهذا القطاع والقدامى منهم على وجه الخصوص والتي يتم بناء عليها خلق نوع من التنظيم الداخلي حفاظا على مصالح كل الأطراف والمتمثلة في الباعة الجائلين وأصحاب المحلات التجارية وأعوان السلطة في ظل هذه الأعراف والتعاقدات يعيشون المهاجرين الأفارقة بالمجال المدروس واقعا مريرا يتعين عليهم التأقلم معه والخضوع له وتحمله بتعدد ألوان مرارته المادية أو المعنوية.

ب- العلاقات البنية للمهاجرين:

إن ممارسة الأنشطة التجارة غير النظامية في مكان محدد بشكل يسمح لكل واحد البقاء تحت أنظار زملائهم، ويشكل نوعا من التنظيم الفعال لمواجهة المشكلات التي يطرحها مجتمع الاستقرار، والصراعات الدائمة في مكان البيع بين التجار المحليين والسكان، لأن الصراع أمر محتوم لا بد منه كما يشير إليه كارل ماركس أن المجتمعات تتميز بالصراع أكثر من الإجماع القيمي وهذا يعتبر من أهم مميزات المجتمع التي تتمثل في الصراع بين الطبقات الأخرى التي تتلائم مع قيم الطبقة المنحرفة وأن الصراع الاجتماعي هو الذي يحكم الحياة الاجتماعية.

إذ أن أي نزاع يولد تعبئة سريعة للمهاجرين، من أجل الدفاع عن وجودهم وحماية أنفسهم³⁰، وهذا ما يؤكد على أن التضامن ميزة يتميز بها هؤلاء المهاجرين الأفارقة بالمجال المدروس، وأن منطق التعاون والاعتماد ببعضهم البعض مقابل الحفاظ على نوع من المسافة في تحقيق نوع من التماسك الاجتماعي فيما بينهم.

وقد تعود أسباب هذا التكتل إلى مجموعة من المعطيات المادية والمعنوية في مقدمتها تشابه نوع من المبيعات من جهة وشعور هؤلاء المهاجرين في بعض الأحيان إلى ضعف أمام الباعة المتجولين بمنطقة إنزكان وتبرز معالم التعاون فيما بين المهاجرين الأفارقة على مستويات متعددة، كما لاحظنا أن أفارقة جنوب الصحراء يصطفون على رصيف واحد وخط مستقيم على شكل مجموعة لتتمكن كل مجموعة من مراقبة أفرادها خوفا من تعرضها وسعيهم لحراسة سلعة الآخر في حالة اضطراب أحدهم إلى مغادرة المكان و تزويد بعضهم البعض بالنقود أو المبيعات في حالة نفادها، تم التكتل تجاه كل من يتعرض بالإساءة وكما جاء على لسان أحد المهاجرين بالمجال المدروس "أغلبيتنا من دولة سينغال ويجمعنا هم واحد هو بيع السلعة من أجل تحقيق مصدر الرزق، نساعد بعضنا البعض ضمن هذا المجال الذي له خصوصياته. «ويتمثل هذا التشابه الحاصل بين ظروف المهاجرين والمهاجرات سواء تعلق الأمر بمصدر الدخل أثناء البيع على الرصيف أو خارجه وتشابه أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية فيما بينهم سواء الرجال أو النساء في المجال بمنطقة إنزكان، والعامل الأساسي الذي يلعب دورا مهما بين المهاجرين هو دعم بعضهم البعض أمام كل ظرف يمكن أن يهدد أو يسيء إلى أحدهم. وتشير الدراسات المنجزة حول علاقة المساعدة بدون استثناء إلى أهمية عامل التشابه بين الأطراف في تحفيز نحو تقديم المساعدة للآخر³¹. كما أكد لنا بعض المهاجرين الأفارقة أن في حالة مرض أحدهم يعتنون به ويشترتون له الدواء من خلال جمع التبرعات والصدقات. وفي نفس السياق كما جاء على لسان مهاجرة سنغالية تبلغ من العمر 30 سنة بائعة متجولة في إنزكان



"إن في حالة قدوم شخص جديد إلى إنزكان نحاول مساعدته ودمجه معنا في الأنشطة الاقتصادية وجعله يعيش برفقة أحدنا في مقر السكن الذي نعيش فيه ونقوم بتعليمه بعض كلمات باللهجة المغربية والأمازيغية التي يتكلم بها معظم الساكنة إنزكان. " وأن بعض المغاربة يتعايشون مع المهاجرين بمنطق المساعدة دون تمييز أو عنصرية على سبيل المثال التجار المتجاورين بالرغم من اختلاف لغتهم ولونهم.

بما أن العلاقات مع الغير لا تتأسس من دون أفق مرجعي يحكم تطورها فإن التغير الذي طاول هذه المرجعيات كانت وراءه الإجراءات المرافقة لعملية التسوية الإدارية لوضعية الأجانب في المغرب، حيث لوحظ تغير نسبي في نوعية الخطابات الرسمية حول المهاجرين من دول الساحل وجنوب الصحراء التي بدأت تتخلص نسبيا من معجمها الأمني³².

وتعد الأشكال التضامنية مظهرا للتعاون مظاهر التعاون الاجتماعي بين البشر وتحقيق لبعض الصور التكافل الاجتماعي وتعزيز لقيمة التعاون بين الأفراد المجتمع، ووسيلة ترفع بين درجة الانسجام والالتحام بين المهاجرين الأفارقة المنحدرين من جنوب الصحراء لأنها شكل من أشكال تساعد على التأقلم داخل البلد المستقبل لهم بحيث يتعاونون فيما بينهم وتقديم لذوي الاحتياجات الخاصة مع مختلف أشكال الدعم والمساندة.

2- معطيات البحث الميداني: تجليات ومظاهر الاندماج

تتجلى مظاهر الاندماج الاجتماعي عبر الأنشطة التجارية غير النظامية لدى مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء انطلاقا من الدراسة الميدانية التي قمنا بها بمجال البحث، حيث تبين لنا أن فئات من المهاجرين سواء الرجال أو النساء تشكل جماعة محلية صغيرة داخل المجال وتتسم بالتجانس الثقافي والاجتماعي فيما نجد أن هناك صلة القرابة بينهم، وذلك بتواجد شبكات قريبه من خلال الانتماء العرقي كما نجد في منطقة البحث حيث تتوافد بشكل كبير فيه مهاجرين من السينغال الذي يزولون أنشطتهم من أجل تحسين الحياة الاجتماعية، وكذلك خلق شبكات اجتماعية بين المهاجرين الأفارقة في تسهيل عملية التكيف داخل المجال الاجتماعي الذي يتميز بتعدد في كل المجالات والبنى الاجتماعية وأنماط العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، وأنه فضاء من التفاعلات المتبادلة الذي يضم شبكة من الافراد والجماعات المشتركة التي تقوم بوعي أم بدون وعي منها بعمليات اجتماعية التوافق والتعاون والتكيف، والاندماج، التنافس الصراع.

حيث تبدو هذه العمليات الاجتماعية في ارتباطها بالكائن الإنساني، وتفاعله مع أقرانه في المجتمع ففي ظل التفاعل تحدث العمليات الاجتماعية التي تختلف فيما بينها من حيث طبيعتها ومن ثمة يمكن الحديث عن بعض العمليات الاجتماعية والتفاعلات المباشرة التي تحدث بين الأفراد والجماعات الموجودة والمتغيرة في المجتمعات المحلية. وهذا التفاعل داخل المجال يظهر جليا من خلال المقابلات الميدانية مع المهاجرين الأفارقة الذين تعلموا مهارات التواصل والتعامل مع الساكنة المحلية من أجل تحقيق الاندماج الاجتماعي كممارسة الأنشطة التي يزولونها. كما يؤكد لنا المشارك في البحث مهاجر سنغالي غير متزوج، 32 سنة، طالب جامعي، بائع الإكسسوارات، إنزكان يقول إن طريقة كسب الساكنة المحلية من أجل البيع هو الاحترام والتفاعل معهم باللغة الدراجة من خلال النطق بكلمة عربية مثلا السلام عليكم "حنا خاوة" وهذا ما يسهل علينا الاندماج بشكل جزئي بمدينة إنزكان". وفي نفس السياق تقول مهاجرة سنغالية، متزوجة أم لطفل، بائعة اللباس الإفريقي إنزكان: "نحن هنا نساعد بعض البعض من أجل التكيف مع الوضع من خلال مساعدة الآخرين تعلم اللغة التي يتكلمون بها في المجال من أجل تسهيل عملية البيع والشراء مع الأفراد الذين يأتون إلى مدينة إنزكان لكونهم يختلفون على مستوى اللغة".

يتبين لنا أن العلاقات الاجتماعية تساهم بشكل جزئي عند المهاجرين الأفارقة في تحقيق الاندماج الاجتماعي من خلال التفاعل بين الآخرين في المجال كما يعتقد "فرناند تونيز" أن الطبيعة الإنسانية للعلاقات الاجتماعية تتغير عندما يتحول الفرد من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية ففي المجتمع الريفي فالعلاقات مبنية على القيم المشتركة عند القبيلة، والعلاقات الشخصية قوية ولهذا يكون الفرد مشدودا بقوة من شبكة من العلاقات الاجتماعية الشخصية بينما نجد في المقابل بالمناطق الحضرية أن معظم تفاعل الأفراد يتم على المستوى الثانوي وعليه يكون الدور محدودا وفي نفس السياق أشار سيميل كذلك إلى أن الفردية الاستقلالية مسموح بها في المدن بدرجة غير معروفة في المناطق الريفية.³³



إلا أن التحقيقات الميدانية تؤكد لنا بأن مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء من خلال النشاط التجاري غير النظامي باعتبارهم في المجال فئة جديدة يقيمون علاقات اجتماعية تبادلية ومصلحية وقربانية بالدرجة الأولى وقد أشارت المعطيات الميدانية أن المهاجرين داخل المدينة يقيمون علاقات اجتماعية على أساس الارتباط بجماعاتهم القروية خاصة وأنهم يقيمون في مجال ساكني واجتماعي خاص بهم داخل التقسيم الحضري للمدينة وهذا ما يؤدي بهم إلى المناصرة والتعاون والحفاظ على نط الثقافة. كما يظهر من خلال طبيعة منتوجاتهم التي يعرضونها على الرصيف سواء الرجال أو النساء وكذلك الحفاظ على تماسكهم الاجتماعي والقيم المشتركة بينهم باعتبار الشغل غير المهيكل أساس بناء روابط الانتماء خصوصا بالنسبة إلى فئة من السنغاليين غير أن أماكن الانتماءات غير محصورة في دائرة هذه المؤسسات على الرغم من أهميتها بل في شبكة العلاقات الاجتماعية غير المهيكلة التي تؤدي النساء دورا محوريا، حيث أشارت دراسة أنايك بيان « Anaik Pian » إلى دور الحامي والمرشد والضامن الذي أداه بعض المهاجرين المستقرين مدة طويلة في المغرب تجاه الوافدين الجدد، كما كشفت أشكال الهرمية السائدة في عالم المهاجرات السنغاليات، ف"بالنسبة إلى المهاجرين الذين يظهرون استقامة في التجارة يتمكنون شيئا فشيئا من التعامل مع النساء السنغاليات اللاتي تتبدد لديهن مشاعر عدم الثقة"³⁴.

غالبا ما يعاني المهاجر وخاصة في الفترة الأولى الوحدة والشعور بالعزلة الاجتماعية وبالاغتراب وصعوبات التواصل مع الآخرين وغالبا ما يدخل في حالين من الصراع اليومي: الأول مع نفسه من خلال حنين لماض سعيد وذكريات سعيدة يعيشها عن طريق الخيال والثانية مع الآخرين للبحث عن ذاته وتأمين حاجاته المادية والنفسية لإثبات وجوده. ويتوافق هذا مع إحساس بفقدان المعايير الاجتماعية التي تعلمها بين أهله والمعلم الثقافية الاعتيادية التي تربى عليها، فانتقال الإنسان من بيئة ومجتمعي ألفهما ويعرفهما ويعرف كيفية التصرف فيهما إلى مجتمع آخر يجهل قيمه وقوانينه وثقافته غالبا مايولد لديه خوفا من المجهول ونزوحا نحو الشك والحذر من كلما يحيط به وشعورا دائما بالقلق والتوتر³⁵، وهنا لابد من التنويه إلى أن الدراسات أظهرت انقسامًا بين هؤلاء المهاجرين لديهم استعدادات خاصة للمرض النفسي ولم يكن عامل الهجرة وضغوطاتها إلا أرضية خصبة لظهور المرض³⁶.

ومن أجل فهم هذه الاغتراب والاستلاب الذي يعيشونه المهاجرين الأفارقة في تحقيق الاندماج الاجتماعي من خلال الأنشطة التجارية غير النظامية على الرصيف بأنهم يعانون بنوع من الاحتقار من خلال سرقة السلعة التي يبيعونها كما يقول المهاجر الإفريقي المنحدر من مالي: "لقد أتيت إلى المغرب من أجل العمل لكن لحد الآن لم أجد أي عمل، لهذا اضطرت إلى البيع هنا خارج أسوار سوق الثلاثاء. كان يبيع ساعات خواتم... ويتابع قائلا "لكن كثير ما أتعرض للسرقة نحن نعاني هنا من كثر السارقين". وهذا يؤكد لنا أن تحقيق العلاقات الاجتماعية بالمجال لابد أن يكون هناك انصهار مع التفاعلات الاجتماعية وتقبل كل ما يمكن أن يخلق لك المشكلة مع الأفراد الساكنة في المجال.

ومن مظاهر الاندماج الاجتماعي من خلال الأنشطة التجارية بمنطقة إنزكان نجد اللغة باعتبارها الوسيلة الأساسية في تسهيل التكيف مع المجتمع المستقبل للمهاجرين إفريقيا جنوب الصحراء. وما يؤكد لنا تلك المقابلات التي أجريتها أثناء الزيارة الميدانية، مهاجر سنغالي، 40 سنة، متزوج، بائع الهواتف، يتقن الدارجة المغربية حيث يقول أنا أعمل كسائق طاكسي في السينغال والآن أبيع على الرصيف، لأني مرارا أقدم طلب الحصول عليها ولكن ما من محيب، يقول سير تال لغدا، "سير تالغدا" أذهب حتى الغدا-، لهذا أنا أبيع على الرصيف، وأنا أكرتي غرفة هنا، ولدي أصدقاء يعملون في الضيعة الفلاحية في أيت اعميرة، وأنا لا أحب العمل هناك، ويضيف نحن نتبادل الاحترام بين الساكنة المحلية من خلال التكلم معهم بالدراجة وهذا ما يسهل علينا الاندماج بشكل جزئي فيما بينهم". وفي نفس السياق مهاجرة سنغالية، 30 سنة، الحلاقة والتجميل بإنزكان اذ تقول: "إن تكلم الدراجة مع الساكنة المحلية خاصة الفتيات يسهل عملية التواصل معهم من أجل تقديم لهم خدمات كاتصفية الشعر الرسطا، تصبغ الاظافر، هادشي كايخلينا أننا نكتسيو العلاقة بطريقة سهلة مع الساكنة المحلية بالمجال". وأن الاندماج في هذا السياق عملية تراكمية للمهاجرين يكتسبون من خلالها مهارات تؤهلهم للتواصل للانخراط في الحياة العامة للبلد المستقبل كتعلم اللغة مثلا دون أن يعني ذلك التخلي عن ثقافتهم وهويتهم الثقافية³⁷، فمؤذج الاندماج لإدماج المهاجرين يتأسس على بناء علاقة تبادلية في الاتجاهين عوض النماذج الأحادية وعليه يتم التركيز في هذا السياق على المکانیزمات التي تساهم في تحفيز أطراف العملية التفاعلية للانفتاح على بعضهم



البعض، وابداء قبول متكافئ³⁸، مما يركي أهمية إقامة الصلات والروابط بين الأفراد من مختلف الخلفيات سواء كانوا مهاجرين أو مواطنين على حد سواء وذلك بغية بناء ثقافة سمتها التنوع والحد من مظاهر الاستبعاد واللامساواة³⁹.

تشكل الأنشطة التجارية غير النظامية عند مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء شكل من أشكال لفهم العلاقة بين السكان المحليون بمنطقة إنزكان من خلال المساعدات التي يستفيدون منها كما يوضح لنا مهاجر سينغالي يبلغ من العمر 38 سنة وهو مسلم، يتقن الدارجة المغربية واللغة العربية الفصحى، متزوج وله أبناء ولم يصاحبهم إلى المغرب، وقد حصل على بطاقة الإقامة ويقيم في المغرب منذ سنة 2015، ويعمل كبائع على الرصيف "يبيع نظرات، خواتم، قلادات، ويقول: "تجمعنا بالناس الذين نعرفهم علاقة جيدة نتعامل معهم باحترام، كنت في الأول أعمل كبائع متنقل هنا في المنطقة، لكن بعد ذلك اخترت العمل في هذا المكان لأنه معروف لدى المغاربة (بعض أصدقائه المغاربة قال له). إن البائع المتنقل يبيع سلعة مغشوشة خصوصا في مثل هذه المبيعات" يتابع قيقول: "لدي الكثير من الأصدقاء المغاربة هنا، ومن الطبيعي أن نتحدث عن مواضيع متعددة، الهجرة مثلا فالكثير يطلب مني الحديث عن تجربتي في الهجرة، والكثير منهم يتحدث عن رغبته في الهجرة إلى الديار الأوروبية، لكن أنا أريد الاستقرار في المغرب فلدي بطاقة الإقامة "يضيف لقد تلقيت مساعدات غذائية من طرف بلدية إنزكان من قبيل الزيت، الشاي، السكر،...، كذلك تلقيت مساعدات مالية خلال فترة الحجر الصحي التي كانت توزع على أصحاب القطاع الغير المهيكل، وقد تلقيت الدفعة الأولى والثانية. أثناء المقابلة كان معه مجموعة من الشباب من سكان المنطقة أثناء البيع على الرصيف يجلسون معه وهذا ما يؤكد على التكيف والتأقلم مع النسق الاجتماعي من خلال التفاعل الإيجابي. وهذا ما يسهل على بعض المهاجرين عملية الاندماج الاجتماعي.

إذن تظهر أهمية الاندماج الاجتماعي بشكل خاص عند انتقال أفراد من مجتمع ما إلى مجتمع آخر والعيش في ثقافة جديدة بما فيها من نمط حياة جديد وشكل آخر للتنظيمات الاجتماعية والتربية والأديان والعادات والقيم... فالقيم مع أنها واحدة لكن التعبير عنها يختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى. فالفرد الذي انتقل لبلد جديد أي لمجتمع جديد سيكتسب من الثقافة والمجتمع الجديدين الكثير أو القليل وهذا يعود إلى قدراته على التلقي والفهم والتقبل أو القبول بما يوجد في المجتمع والثقافة الجديدين، كما يرتبط ذلك أيضا بما يمكن لذلك المجتمع والثقافة أي قدموه للفرد الجديد لمساعدته على الاندماج بشكل أفضل وأكثر إيجابية. وبذات الوقت فإن هذا لا يعني أن الفرد سيتخلى عن ثقافته كليا بل يمكنه المحافظة على ثقافته أو أجزاء منها بذات الوقت الذي سيكتسب به عناصر ثقافة جديدة وبذلك يصبح هناك تقارب بين الفرد والمجتمع الجديد وثقافة ذلك المجتمع.

كما أن الفرد يستطيع أن يؤثر أيضا بالمجتمع الجديد الذي انتقل إليه، وهذا لا يعني إن أمر الاندماج سهل وبسيط فهو مصحوب بمشاكل تختلف من فرد لآخر بحكم الفروق الفردية بين الناس والفروق في التلقي والفهم والشخصية والثقافة الخاصة بكل فرد، وقد لا يستطيع الجميع النجاح في الاندماج وربما يلقون مشاكل في التكيف مع المجتمع أو يختلفون في الأوقات التي يحتاجون لها للانندماج والتي تعود للفرد والمجتمع مع أو ذلك حسب الخطة التي يضعها المجتمع لذلك، فالخطط المدروسة في الاندماج تعمل على التدرج من التضامن الاجتماعي إلى التكيف الاجتماعي ثم إلى الاندماج الاجتماعي أيضا يتأثر ذلك حسب الخطة التي يضعها الفرد لنفسه⁴⁰.

انطلاقا من المعطيات الميدانية، يتبين أن أغلب المهاجرين الأفارقة بمنطقة إنزكان الذين يمارسون أنشطتهم غير النظامية وأن معظم المهاجرين الذين شملتهم عينة البحث لا يتحدثون اللغة العربية أو الدارجة المغربية وهذا يشكل عاملا مهما ومحددا في الطريقة التي يتعامل السكان معهم، وبالتالي فهذا يجعل هؤلاء المهاجرين القادمون من إفريقيا جنوب الصحراء، غير قادرين على تحقيق الاندماج في المحيط المحلي إلا بشكل جزئي.

وإلى جانب هذا نستنتج من خلال المقابلات أن معظم عينة البحث من المهاجرين الأفارقة لا يحققون اندماجا في المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، إضافة إلى ذلك صرح معظمهم المهاجرين الذين شملتهم عينة البحث أن سكان منطقة إنزكان يعاملونهم باحترام، لكن هذا لا يعني أنهم لا يتعرضون للمضايقات من طرف أقليات منهم، كذلك نجد أن المكان الذي يوجد فيه المهاجرين الأفارقة أثناء العمل هو منزل



تمام عن المكان الذي يوجد فيه الباعة المحليين، وما لهذا من دلالة وأبعاد اجتماعية تحيل إلى التباين الاجتماعي والقيمي والثقافي بين هؤلاء المهاجرين والسكان المحليين.

نستنتج كذلك أن المهاجر الإفريقي الذي يعرف الدراجة المغربية، يتبين من خلال المقابلات، أنه لا يتلقى كلمات عنصرية من طرف المارة حالة مهاجرة سنغالي مثلا يتكلم اللغة العامية بمنطقة إنزكان. وبالتالي يمكن القول أن هناك علاقة ترابطية بين مدى معرفة المهاجر بالدراجة المغربية واللغة العربية، والكلمات العنصرية التي سيتلقاها من المارة.

ومن خلال المقابلات نستنتج كذلك أن علاقة الثقة التي يمكن أن تكون بين سكان منطقة البحث والمهاجر الإفريقي إلى جانب البعد الفيزيقي الذي يمكن أن يتحول إلى بعد أو تباين اجتماعي بين الباعة المحليين والباعة المهاجرين من إفريقيا الصحراء أثناء العمل إذ تجد أن جل المهاجرين الأفارقة يتواجدون في مكان موحد خاص بهم، وتجد نظيرهم الباعة المحليين في مكان آخر.

د- النشاط التجاري كآلية الاندماج الاقتصادي:

يتمثل في تكوين أسواق اقتصادية مشتركة، ويتم ذلك بوسائل ومظاهر عديدة مثل توحيد التشريعات الضريبية والجمركية وإزالة كل العوائق التي تحول دون التدفق الحر للسلع والخدمات، وانسياب حركة العمل ورأس المال بين مختلف مناطق السوق⁴¹.

إن التحديات الاقتصادية التي تعترض حياة المهاجرين الأفارقة جنوب الصحراء بالمغرب، تكمن بشكل أساسي في غياب فرص العمل أو الشغل الحقيقي والمنظم سواء بشكل مؤقت أو دائم، الشيء الذي يدفع هؤلاء إلى ممارسة أنشطة تجارية داخل الأسواق الأسبوعية أو اليومية بشكل غير مهيكّل عبر بيع منتجات مستوردة من بلدانهم الأصلية أو الاشتغال في صالونات للحلاقة خاصة النساء مثل سوق المسمى بسوق الأفارقة بالدار البيضاء الذي يعتبر لدى الكثير من المغاربة والمهاجرين نموذجاً لاندماج والتعايش من أجل تحقيق الأمن الغذائي⁴². وهذا ما ركزنا عليه في بحثنا هذا من خلال دراسة الأنشطة التجارية غير النظامية عند الباعة المتجولين الأفارقة بمنطقة إنزكان. أو ما يسميها مصطفى حجازي "بالهامشية المهنية"⁴³ «إشارة منه للأنشطة الطفولية التي تكثر في أحياء البؤساء وهي أنشطة تهدف إلى الاستزاق تبعاً للظروف حيث يكون العمل في هذه الحالة حسبه مبخساً ومشوهاً وغير ذي قيمة اقتصادية واجتماعية.

2.3- مظاهر الاندماج الاقتصادي

تتسم مظاهر الاندماج الاقتصادي عند الباعة المتجولين الأفارقة بمنطقة إنزكان بمنطق تحقيق الأرباح من أجل تسهيل التأقلم والتكيف مع الحياة الاجتماعية أو جمع الأموال قصد الذهاب إلى الضفة الأوروبية، وهذا ما سيؤكد لنا من خلال المقابلات التي أجريناها مع مجموعة من المشاركين في البحث.

ونضيف قائلاً: مهاجر سنغالي، 33 سنة وهو مسلم، بائع سجائر، إنزكان: "يثقن بعض الكلمات من الدراجة المغربية كان يعمل في السينغال كخياط يقول "ليس لدي أصدقاء في هذه المنطقة وحتى أولئك الذين يشترون من عندي فهي علاقة بيع وشراء، لا غير... لكن هذا لا يعني أنه إن كانوا سيعاملونك باحترام... أنا أسعى إلى جمع المال وهو ما أحاجه أريد الذهاب إلى أوروبا". هناك مهاجرة سنغالية، 30 سنة، متزوجة، لها أبناء بائعة القلادات والخواتم تقول: "لدي صديقات هنا ونخرج في بعض الأحيان... وهن يتكلمن اللغة الفرنسية وقليلاً ما نتكلم باللغة العربية «تتابع وتقول "أعمل لدى صاحبة مطعم هنا في إنزكان أغسل الأطباق لكن خلال الحجر الصحي أغلقت المطعم وقد دفعت لي جميع مستحقاتي دون استثناء، كنت أعمل عندها بمبلغ 40 درهم، ومنذ ذلك الوقت عدت إلى البيع على الرصيف" تتابع كانت صاحبة هذا المطعم تتواصل معي أكثر بالدراجة المغربية متعمدة لرغبتها في إتقنها. وتضيف المشاركة في البحث أنها خلال مزولتها العمل هناك من المارة من يشتري من عندها ويرفض أن يأخذ ما تبقى من المال الصرف نربح بعض الأموال من أجل تحسين الوضعية الاجتماعية بالجمال".



أما بخصوص مهاجرة موريتانية، 50 سنة، متزوجة، الديانة الإسلام تاجرة بإنزكان. تقول في البداية واجهت صعوبة من أجل التأقلم مع جو المدينة الذي يطبعه غلاء الأسعار بأكادير قبل أن تتجه إلى صوب انزكان الذي تستقر به منذ سنة 2003م إلى حدود الساعة، وتتابع أن الرواج التجاري الذي تعرفه المدينة والتجربة في مجال التجارة مكنتها من بناء ثروة لا بأس بها عن طريق بيع الأكسيسوارات ومواد التجميل، لتصبح صاحبة مأوى أوبالأحرى فندق غير مصنف يقدم خدماته للمهاجرين الأفارقة مقابل مبالغ مالية في حدود 10 دراهم للمبيت و15 درهم للوجبات اليومية 25 درهما لليوم، بدأت فكرة هذه التاجرة في البداية باكتراء منزل بحي أسايس بإنزكان بسومة شهرية قدرها 1200 درهم للشهر، ومع ازدهار نشاطها والإقبال على فندقها، غيرت المنزل لآخر أكثر اتساعا من سابقه وقريب من السوق الأسبوعي للمدينة، حيث مازالت تزاوّل الأنشطة التجارية غير المهيكلّة، ورغم غلاء سعر المنزل الجديد الذي تقول أنه تكتريه ب 4000 درهم للشهر لمدة. فهي تحمد الله لأنها راضية عن الأرباح التي تحصل عليها شهريا من عائدات التجارة والنزل الذي تمتلكه. استطاعت نسج علاقات وطيدة مع سلطات المدينة التي وعدتها بالحصول على بطاقة الإقامة، وهو ما تحقق لها فعلا وبالضبط يوم 28 ماي 2014م. لقد كسبت ود التجار المغاربة الذين يتعاملون معها كتاجرة مغربية حقيقية يقدمون لها القروض وتودع لديهم المال نظرا لتوفر عنصر الثقة بينها وبينهم.

تعلمت الدارجة المغربية واللهجة الأمازيغية تشلحيت، فهي لم تلج المدرسة الابتدائية سابقا، إلا أنها استطاعت بفضل السنوات التي قضتها بالكتاب القرآني من بناء معرفة لا بأس بها مكتنها من تحدي اكراهات الحياة، فهي تتقن اللهجات الإفريقية والصحراوية من الحسانية والولوف، إضافة إلى الفرنسية والعربية.

فقد كانت في ماضى تحصل من مجموع الخدمات التي تقدمها على 1000 درهم لليوم، مكنتها من توسيع تجارتها والاستعانة ببعض العمال كالموريتاني مودوفي التجارة والسنغالية خديجتو في الطبخ، غير أن المداخيل قد تراجعت في هذه السنة إلى 300 درهم في اليوم بسبب الأزمة كوفيد"، إلا أنها تشكر الله لأن الأمور هنا أحسن بكثير من بلدها الأصلي موريتانيا.

إذن، وانطلاقا من المقابلات فالنشاط التجاري غير النظامي يشكل حلا بديلا لحالات اجتماعية هشة من خلال الأرباح التي يحققونها هؤلاء الأفارقة بمنطقة انزكان والتي تساهم في تغيير الوضع الاجتماعي والاقتصادي والعيش في ظروف أحسن بالمجال والتأقلم بشكل جيد في تحقيق التوازن والاستقرار بشكل جزئي.

وتبين الأرقام أن أكثر من 60% من الباعة المتجولين لهم دخل يفوق الحد الأدنى للأجور بمعدل دخل شهري يساوي 3100 درهم كما أن الدخل المتحصل عليه من التجارة الجائلة يمثل المورد الأساسي لأسر الباعة المتجولين بل إن ثلثي الأسر تعتمد كليا على مداخيل أفرادها الذي يشتغل كبائع متجول وتفيد تقديرات الدراسة بأنه في سنة 2014م كانت التجارة الجائلة مصدر رزق لما يناهز 1.5 مليون فردا.

تعتبر التجارة الجائلة مصدرا هاما للتزود بالمواد التموينية والبضائع المتنوعة بالنسبة لمختلف الفئات الاجتماعية. وبالنظر لميزة القرب من المستهلك والأثمنة التنافسية التي توفرها، فالتجارة الجائلة تساهم في الرواج التجاري في الحواضر والمدن، كما أنها تستجيب لمستوى القدرة الشرائية لشريحة واسعة من المواطنين. تشير أرقام البحث الذي أنجزته وزارة الصناعة والتجارة إلى أن الطبقة ذات الدخل المحدود والطبقة المتوسطة تمثلان معا 83 % من زبناء التجار الجائلين، وأن الطبقة الميسورة تمثل نسبة 15 % من الزبناء⁴⁴.

ساهم مجتمع الاستقرار بمنطقة إنزكان عندي مهاجرات إفريقيات جنوب الصحراء في العمل في النشاط التجاري غير النظامي الذي يساهم بشكل كبير في تحقيق الأرباح عن طريق التجميل والحلاقة من خلال تقبل النساء المغريات بشكل كبير عند هذه الفئة في الفضاء العام بمنطقة إنزكان. وهذا يعطي صورة من نقل الخبرة المحلية إلى المجتمع المضيف. وتقول المشاركة في البحث مهاجرة سنغالية تبلغ من العمر 30 سنة متزوجة، الحلاقة والتجميل: "أبيع مواد التجميل، أركب الأظافر والشعر الاصطناعي ورموش العين، وأبيع القوة إشارة إلى حبوب القوة الجنسية، تتابع أصف الشعر على شكل راستا Rasta أضع أظافر وشعر ورموش اصطناعية بأحجام وأشكال مختلفة بثمان 200 درهم، وتتابع أبيع كذلك مواد ترطيب الجلد والصابون ومواد التسمين والأرداف بثمان مناسب". وكما تقول مهاجرة سنغالية 35 عاما مستقرة بمنطقة إنزكان:



"نحن نقدم خدمات جيدة للنساء في عملية تصفيف الشعر بثمان مناسب مخالف ما يوجد في الصالونات بأئمة خالية، نحن نساعد بعضنا البعض من أجل القيام بالعملية بشكل سهل وأسرع"، إن عملية الاندماج الاقتصادي عند مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء تتميز بنوع من التكيف والتأقلم عبر الأنشطة غير النظامية التي يقوم بها هؤلاء النساء أما جنبات سوق الثلاثاء بمنطقة إنزكان والتي تحقق لهم أرباح مرضية في حياتهم الاجتماعية بالجمال. وهنا يمكن استحضار الدراسة التي قام بها الدكتور رشيد بن بيه من خلال الدراسة الميدانية التي قام بها في مجال البحث بمدينة أكادير والرباط والتي أشار فيها أن نساء دول الساحل وجنوب الصحراء والمشتغلات في التجميل والحلاقة يقدمن ثلاثة أنواع من الخدمات وهي⁴⁵:

- tresses: أي وضع الشعر على شكل ضفائر صغيرة. وتكلف هذه الخدمة 250 درهما. وقد لوحظ إقبال المغريات على هذا النوع من خدمة تصفيف الشعر، خصوصا المغريات السوداوات والفتيات الصغيرات، ويندرج هذا ضمن التأثيرات المتبادلة بين نساء دول الساحل وجنوب الصحراء والمغريات، من ذوات السحنة السوداء خصوصا.
- Tissage: تصفيف الشعر بشكل أكثر جمالية، ويعتبر أغلى خدمة يصل ثمنها إلى 300 درهم، وتقدم لمن له شعر ملائم.
- Pose d'ongles: أي وضع الأظافر، لليدين والرجلين وصبغها، وتقبل المغريات على ذلك بشكل كبير، لكون العملية تحصل بسرعة، من جهة وغير مكلفة من جهة أخرى، ويكلف مجموع الأظافر (اليدين والرجلين) 100 درهم.
- Rasta: تصفيف الشعر بشكل متدل، وتكلف هذه الخدمة 250 درهم.

ويتعلق الأمر بخدمات تجميل في متناول إذا مقارناها بالخدمات المقدمة في الصالونات المغربية التي تتجاوز المبالغ المشار إليها على الرغم من الإحراج الذي يسببه ذلك لبعض المستفيدات، كون العملية تحصل على مرأى الجميع، ولتجاوز ذلك، تستدعي هؤلاء للبيوت المغربية بهدف الاستفادة من خدمات التجميل التي يتقنها وهو ما يساهم في خلق رابط اجتماعي بين المغريات ونساء دول الساحل وجنوب الصحراء.

إن طبيعة الأنشطة التجارية غير النظامية عند مهاجرين إفريقيا جنوب الصحراء تلعب دور مهما في تحقيق الاندماج السوسيو اقتصادي بمنطقة إنزكان من خلال ممارسة انشطتهم على الرصيف كباعة متجولين، وإن هذه التجارة الجائلة تخلق للمهاجرين إفريقيا جنوب الصحراء نوع من التكيف والتأقلم مع المجال من خلال كسب ثقة الساكنة المحلية، وإن اللغة هي العنصر الاساسي التي تساعد المهاجرين من الانصهار مع ثقافة المجتمع المحلي من خلال الاعتماد على المبيعات المحلية للمنطقة والتي لها علاقة بالبلد الاصل للمهاجرين. ويتبين لنا من خلال التحليل أن الأنشطة التجارية غير النظامية للمهاجرين إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى لها إيجابيات والتي تتمثل في كسب مورد من المال من أجل تجاوز الفقر وتحقيق حاجاته الأساسية في الحياة الاجتماعية. ط، أما سلبياتها تتمثل في وجود معيقات واكراهات التي تقف مانعا وعائق في تحقيق الاندماج الكلي بالمجتمع المحلي بمنطقة إنزكان.

خلاصة عامة:

يعتبر المغرب أمن الدول المستقبلية للمهاجرين خاصة الأفارقة المنحدرين من جنوب الصحراء، ويتخذ معظمهم مقاما مؤقتا قبل محاولات الهجرة الفاشلة في أغلب الحالات نحو أوروبا أو مقاما دائما وأصبح المغرب أمام معادلة صعبة وامتحان عسير؛ قوامه كيف يجد الانسجام بين ملتسماته ومتطلباته بتوفير وكفالة حقوق هؤلاء المهاجرين الأفارقة، فحسب خبراء المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا فعلى مدار أكثر من عقدين ظل المغرب وجهة للمهاجرين الأفارقة المنحدرين من جنوب الصحراء الذين فروا من النزاعات والحروب والفقر للعبور إلى بلد أكثر استقرارا وأمنا، بالرغم من أن أغلبية هؤلاء المهاجرين عبروا بشكل غير قانوني نتيجة لعدم وجود قنوات للهجرة الشرعية، فينظر هؤلاء المهاجرين بأنها السبيل الوحيد لتحسن أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية هو العمل في الأنشطة التجارية غير النظامية بمنطقة إنزكان التي تعرف توافد كبير



للمهاجرين المنحدرين من جنوب إفريقيا الكبرى حيث ساهمت هذه الأنشطة التي يقامون بها كباغة متجولين على الرصيف في تحسين ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية من خلال التكيف مع الساكنة المحلية.

إد تعتبر هذه الأنشطة التجارية غير النظامية دور في تحقيق الاندماج السوسيواقتصادي لمهاجري إفريقيا جنوب الصحراء بالمجال المدروس حيث تحقق لهم غايتهم في ممارسة انشطتهم على الرصيف وتسهيل لهم عملية الاستمرار في التكيف مع الوضع رغم المعوقات التي يواجهونها عن طريق اللغة والثقافة الجديدة التي وجدوها انما تختلف عن ثقافة مجتمعهم الأصلي.

ورغم ذلك تشكل هدة التجارة الجائلة نوعا من الطموحات التي يريد المهاجرين الأفارقة الوصول إليها من خلال كسب وتعلم لغة المجتمع المحلي من أجل مساعدة أنفسهم في المواكبة والاستمرارية في تحقيق الاندماج الاجتماعي والاقتصادي الذي هو اللبنة الأساسية في تحسن وضعيتهم في توفير مورد من المال بسبب الاعمال التي يزولها كل واحد بنفسه وتساعدهم في ارسال التحويلات المالية للأقاربهم الذين يعيشون تحت عتبة الفقر والتهميش بسبب غياب فرص الشغل وتشكل لهم الطرد للبحث عن الأماكن التي توجد فيه نوع من الحماية الاجتماعية والعيش الكريم رغم الصعوبات التي يواجهونها في الأول مع التأقلم مع الساكنة المحلية بالمجال.

وفي الأخير تحذر الإشارة إلى أن الأنشطة التجارية غير النظامية للمهاجري إفريقيا جنوب الصحراء بمنطقة إنزكان تلعب دورا أساسيا في تحقيق الاندماج السوسيو اقتصادي من خلال الأنشطة التي يمارسونها كباغة متجولين على الرصيف والتي تسهل لهم عملية التأقلم والتكيف في المجال من خلال الانصهار مع ثقافة المجتمع المحلي باعتماد استراتيجيات الاندماج كاللغة الروابط الاجتماعية.

الهوامش:

- 1- المنظمة الدولية للهجرة، تقرير الهجرة في العالم لعام 2020، www.iom.int/wmr
- 2- عثمان بمنصور، "مبادئ وطرق علم الإحصاء الاجتماعي، جامعة ابن زهر أكادير 2013، ص 12.
- 3- عبد الكريم غريب، "منهج البحث العلمي في علوم التربية والعلوم الإنسانية"، منشورات عالم التربية، 2012، ص 176.
- 4- انتوني غيدنز، علم الاجتماع ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة مؤسسة ترجمان، الطبعة الأولى 2005، ص 221.
- 5- نور الدين، المصورى، مسألة الهجرة بين المجال والمجتمع: نظريات ومناهج، بتنسيق جمال الدين الهاني وآخرون الطبعة الأولى دار النشر جامعة الأخوين، إفران، 2022، ص 97.
- 6- فوزي بوخرىص، الاندماج الاجتماعي والديمقراطية: نحو مقارنة سوسولوجية، مجلة مؤمنون بلاحدود، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، العدد 13، 2021، ص 5.
- 7- فوزي بوخرىص، نفس المرجع السابق، ص 5.
- 8- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة الإدماج الاجتماعي والديمقراطية والشباب في العالم العربي منظمة اليونيسكو، 2013م، ص 8.
- 9- نفسه، ص 8.

10- Dominique Schnapper, Paris: Éditions Gallimard 2007, p 12.

11- WISSAM BITARI, «Sub-Saharan Migrant Integration in Morocco: Oujda as a Case study, Revue» Repères et Perspectives Economiques Vol. 4 / Numéro spécial / novembre 2020, P90.

12 Dominique Schnapper, Paris: Éditions Gallimard 2003, p 14 .

13 - يكاد يجمع الباحثين المهتمين بقضية الاندماج الاجتماعي بأن الجدور الفكرية لهذا المفهوم ترجع على نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد اتضح ذلك بشكل خاص من خلال كتابات غميل دوركايم (1858-1917) في تقسيم العمل الاجتماعي، الانتحار؛ تم طرح فكرة عملية التضامن الاجتماعي كنقطة أساسية ومحورية للعلم الجديد (علم الاجتماع)؛ تم طرح فكرة عملية التضامن الاجتماعي كنقطة أساسية ومحورية للعلم الجديد (علم الاجتماع)، والذي يمثل شبكة الروابط الاجتماعية التي تشد أفراد المجتمع إلى بعضهم البعض، والتي تشكل بابا من أبواب الاندماج الاجتماعي، بحيث يعتبر دوركايم أن المجتمع والاندماج الاجتماعي يشكلان وجهان لعملة واحدة.



- 14 المالكي، عبد الرحمان، الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية-ظهر المهرارز، فاس، 2015، ص 667.
- 15 - فوزي بوخريص، الاندماج الاجتماعي والديمقراطية: نحو مقارنة سوسيولوجية، مجلة مؤمنون بلا حدود، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، العدد 13، 2021، ص 9.
- 16 - https://ar.wikipedia.org/wiki/تكامُل_اقتصادي
- 17 المالكي، عبد الرحمان، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015.
- 18) Andrea rea, maryse tripier, sociologie de l'immigration, référence précédente, (n.d.
- 19 المالكي، عبد الرحمان، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015، ص 146-168.
- 20 نفس المرجع السابق.
- 21 بوخريص، فوزي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، مؤمنون بلا حدود، يناير 2019.
- 22 هو بحث ميداني مكون من خمسة أجزاء يضم وضعية ونمط العيش للبولونيين في كل من موطنهم الأصل، وبعد ذلك هجرتهم لأمريكا ويرصد أنماط التفاعل وعلاقتهم مع باقي المهاجرين القادمين من دول أخرى، ومدى قدرة هؤلاء المهاجرين البولونيين على الاندماج والانصهار، وما هي القيم والمعايير الاجتماعية ومظاهر سوء التنظيم الاجتماعي وإعادة التنظيم. وقد اعتمد وليام طوماس وزنانكي في دراستهما لهذه المواضيع على مقارنة تليي الحاجة لدراسة هذا الواقع، وذلك من خلال منهجين وهما تقنية دراسة الحالة التي تعتمد على "المنهج البيوغرافي"، وتقنية تحليل المضمون والمعطيات المجمعة وكانت عبارة عن وثائق ورسائل شخصية متبادلة بين المهاجرين البولونيين وذويهم في الوطن الأم. كما تم الاعتماد على وثائق أخرى ومنها مقالات الجرائد ولوائح الانتساب لجمعيات المهاجرين، وتقارير من المحاكم، ومراكز الشرطة. أما التقنية الأخرى التي تم الاعتماد عليها في السيرة الذاتية أي البيوغرافيا فشكلت ما يقارب من ألف وثيقة. خلقت بداية سوسيولوجيا إميريكية طبقت "المنهج الكيفي" وجانباً مفاهيمياً ونظرياً. مما جعله إنجازاً ريادياً في سوسيولوجيا الهجرة
- 23 Abdelmalek Sayad, « la double absence », Des illusions aux souffrances de l'immigré. Préface de Pierre Bourdieu. Paris, seuil, 1999. □ William James, Les formes multiples de l'expérience religieuse, 2019.
- 24 المالكي، عبد الرحمان، الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية-ظهر المهرارز، فاس، 2015
- 25 نفس المرجع السابق.
- 26-Alison Vasconez، "Mujeres، mercado laboral y trabajo precario"، in، gGenero y empleo، Fundacion Carolina، ALCI، Madrid، 2009، P.70.
- 27- خلود السباعي، المرأة والعنف «النساء، الشغل وجود الحياة نموذج: عمل المرأة في القطاع الغير مهيكّل»، عن شركة النشر والتوزيع المدارس بالدار البيضاء الطبعة الأولى، صدر سنة 2016.
- 28- الفراشة هو اسم نسبة إلى الكففة التي تعرض بها المبيعات من جماعة من الباعة المتجولين الذين يعرضون منتوجاتهم فوق بساط يكون من النوب أو البلاستيك أو الكارطون أو طبلية، ويتم جمعه وحمله بسهولة أيضا في حالة حضور أجهزة السلطة التي تحاصر باستمرار نشاطهم التجاري.
- 29- لطفي الإدريسي «إميل دوركايم: تقسيم العمل»، الحوار المتمدن.
- 30- رشيد، بن بيه، الهجرات النسائية الجديدة في أفريقيا المحددات والديناميات، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت تشرين الأول /أكتوبر 2021، ص 205.
- 31-Eliot R.Smith، Psicologia social، Panamericana، Madrid، 1997، P 508.
- 32- رشيد بن بيه، الهجرات النسائية الجديدة في أفريقيا المحددات والديناميات، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت تشرين الأول /أكتوبر 2021، ص 232.
- 33- لوجلي صالح الزوي، علم الاجتماع الحضري، ليبيا، منشورات جامعة غار يونس، 2002، ص 42.
- 34- رشيد، بن بيه، الهجرات النسائية الجديدة في أفريقيا المحددات والديناميات، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت تشرين الأول /أكتوبر 2021، ص 129.
- 35- عزامامين "سيكولوجية المهاجرين : استراتيجيات الهوية واستراتيجيات الثقاف دراسة تحليلية نظرية "مركز حرمون للدراسات المعاصرة ص 20 .
- 36- نفسه، ص 21.



- ³⁷ - هاشم نعمة فياض، 2011، هجرة العمالة من المغرب إلى أوروبا، هولندا، دراسة تحليلية مقارنة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، معهد الدوحة، ص 61.
- ³⁸ - رشيد، بوعبيد، الهجرة وإدماج المهاجرين منطقات وتجارب، بتنسيق جمال الدين الهاني وآخرون الطبعة الأولى دار النشر جامعة الأخوين، إفران، 2022، ص 270.
- ³⁹ - Organisation internationale pour les migrations ,op cit,p218.
- ⁴⁰ - ماريام رديني موقع <https://www.ankawa.com/forum/index.php?topic=759381.0>
- ⁴¹ - https://ar.wikipedia.org/wiki/تكامَل_اقتصادي
- ⁴² - إدريس، الدريسي، الشتات الإفريقي بالمغرب الفرص السياسية والتحديات السوسيو-اقتصادية، تنسيق جمال الدين وآخرون، الطبعة الأولى دار النشر جامعة الأخوين، إفران، 2022، ص 290.
- ⁴³ - حجازي مصطفى التخلف الاجتماعي مداخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور الطبعة التاسعة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء 2005، ص 25.
- ⁴⁴ - المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، الإدماج الاقتصادي والاجتماعي للباعة المتجولين سنة 2020. ص 9.
- ⁴⁵ - رشيد، بن بيه، الهجرات النسائية الجديدة في أفريقيا المحددات والديناميات، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت تشرين الأول /أكتوبر 2021، ص 215.